

تفسير أبي السعود

111 - آل عمران .

قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الإسلام فهم خير أمة للناس .
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير أمة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم أو خبر ثان كنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وإن كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمة عام لكل قال ابن عباسBهما يريد أمة محمد وقال الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله وهو يعلم سائر أمته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى وظاهر أن المراد بكل أمة أوائلهم وأواخرهم لأوائلهم فقط فلا بد أن تكون أعقاب هذه الأمة أيضا داخلية في الحكم وكذا الحال فيما روى أن مالك بن الصيف ووهب ابن يهودا اليهوديين مرا بنفر من أصحاب النبي فيهم ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم فقالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباسBهما كنتم خير أمة الذين هاجروا مع رسول الله إلى المدينة وروى عن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم .
وتؤمنون بالله أي إيماننا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وإنما لم يصرح به تفصيلا لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون وللإيمان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة وأن ما خلا عن شيء من ذلك كإيمان أهل الكتاب ليس من الإيمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وإنما آخر ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهم للناس أظهر من دلالة عليهما وليقترن به قوله تعالى .
ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم أي لو آمنوا كإيمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالخطوط الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية إنما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وإنما لم يتعرض للمؤمن به أصلا للإشعار بظهور أنه الذي يطلق عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا أو فيما قبل لربما فهم أن لأهل الكتاب أيضا إيماننا في الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهيئات ذلك .
منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقى جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية

لانتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فقل منهم المؤمنون
المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه .
وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود .
لن يضروكم الا أذى استثناء مفرغ من المصدر العام أي لن يضروكم أبدا ضرا ما الا ضرر أذى
لا يبالي به من طعن وتهديد لا أثر له .
وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار أي يهزمون من غير أن ينالوا منكم شيئا من قتل أو أسر .
ثم لا ينصرون عطف